

وأنا حين أتمثل هؤلاء الأمويين وقد ضربت رؤوسهم بالعمد وتم القضاء بذلك عليهم ومن ثم على قيام قائمة لدولتهم، أتخيل ما ذكره نجيب فاضل فى قوله: (إن معركة بدر كانت أول عمود هوى على رؤوس المشركين)، وأرى فى ذلك صورة وفق كل التوفيق فى عرضها علينا لأن التشبيه أقرب ما يكون إلى الواقع. ولقد شاء أن يقول إن المشركين ذهب أمرهم سدى وكانت هذه المعركة ممحقة لهم وهذا يشبه ما وقع لأولئك الأمويين الذين هوت على رؤوسهم عمد الخليفة أبى العباس السفاح فقضت عليهم وأذهبت ملكهم أدراج الرياح.

ويتمد السياق بالشاعر الذى يتحدث عن بدر ناطقا عن عقله وروحه فهو لا يغالى فى الخيال لأن الخيال إذا زاد عن الحد أضحى كلاما لا يستقيم فى الفهم. وقد عرفنا عن نجيب فاضل أنه ذو ثقافة قانونية والقانونى يلتزم حدود المنطق ويرتب النتيجة على المقدمة، كما أنه شاعر والشاعر لا بد أن يكون له شعور خاص به ورؤية لا يستطيع لها كتماناً، كما عرفنا أنه ذو ثقافة دينية روحية. لقد ألفت فى التصوف، وعرف الرمز والإيماء، وأدرك من التصوف أنه فى مفهومه الصحيح أوج التقوى، كما أنه إلى كل ذلك بليغ ملتزم لأنه إنما نظم فى السيرة النبوية الشريفة ليظهر الأتراك جميعاً على حقيقتها، واختار المعنى القوى والمبنى السلس الواضح. إنه يصدقنا القول عن بدر بقوله:

(صفات فى الروح مختلفان فى النسب مؤتلفان، خرج الابن أمام أبيه والأح أمام أخيه، فى بدر تعلمنا كيف يتحدثان فى أرومتهما، وحد الإسلام فى لون واحد كل الألوان، ففيه اثنان لا يتفاوتان، إنه ثورة دين جديد على عهد عهيد).

إنه مذكرنا بما سبقت لنا معرفته مما وقع بين أبى بكر وأبنة، وبين أخ وأخيه. وبذلك يلتزم الحقيقة بجدافيرها ويبين كيف أن الإسلام سوى بين من كانا يختلفان فى الرأى وإن كانا لا يختلفان فى النسب والقربى.

إنه مبدأ إسلامى متالى. فالإسلام دين المساواة والمساواة هى التى تقسم سدا منيعاً بين الكراهية والمودة، فإذا ما كان الناس على مذهب واحد ورأى واحد صلحت أحوالهم. وما وجد بينهم من سبب يدفع إلى النزاع والتخاصم، إنه يشيد بالإسلام كدين تبدل به الناس بأمن من خوف فاحتتمعت قلوبهم على التواد والتراحم، وعد ذلك ثورة إنسانية لأن مفهوم الثورة هو التغيير من حال إلى حال فغير الحال من سبب إلى ما هو الأحس.